﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾

القرآن والسنة بفهم سلف الأمة

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢١ ذو الحجة ١٤٣٧ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله بعث محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، بعثه خاتمًا للنبيّين والمرسلين، وجمع له الحق المبين، أنزل عليه القرآن ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، أنزل عليه القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، أنزل عليه القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٣]، أنزل عليه القرآن شفاءً وهدًى ورحمةً للمؤمنين، وآتاه مع القرآن السنة، يقول النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».

ثم إن ربنا ﷻ قال لنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالله ﷻ بيّن لنا الصراط المستقيم وعيّنه، وفرض علينا أن نتّبعه، وحذّرنا من مفارقته، ووصّانا بذلك وصيّة إلزام، وبيّن لنا أنّ تقواه إنما تكون بلزوم صراطه المستقيم، فعلى الأمة -أفرادًا وجماعة- أن تلزم صراط الله المستقيم.

وصراط الله المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو المحقّق للمقصود، والموصل للمطلوب، طريقٌ أوّله في الدنيا ومنتهاه إلى جنة رب العالمين، صراط الله المستقيم هو ما جاء في

كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم:١].

كتاب الله ﷻ فيه النور المبين، والناس في ظلمة ولا يَخرج من هذه الظلمة إلا من اتبع نور كتاب الله ﷻ الذي هو صراط الله العزيز الحميد، ويقول النبي ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»، ويقول ﷺ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها مِن بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم ما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ».

فصراط الله المستقيم هو ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، فمن لزمهما فقد اهتدى، ومن خالفهما فقد ضلّ وغوى.

صراط الله المستقيم -يا عباد الله- هو الذي يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، يقول ربنا ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

حاجتنا إلى الصراط المستقيم -يا عباد الله- أعظم من حاجتنا إلى الطعام والشراب والهواء والمال، ولذا أُمرنا أن نسأل الله ﷻ أن يهدينا صراطه المستقيم في اليوم مرات عديدة، في جميع صلواتنا وفي خارج صلواتنا، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦].

هذا الصراط -يا عباد الله- من سار عليه فهو من أهل النعمة التامة، الذين أنعم الله ﷻ عليهم، وهؤلاء المُنعَم عليهم هم السالمون من السير في طريقين مظلمين كالحين لا خير فيهما؛

- أما أحدهما: فهو طريق العلم بلا عمل، يتعلم ولا يعمل، وهذا طريق المغضوب عليهم، ورأس المغضوب عليهم -يا عباد الله- هم اليهود، هؤلاء مَثَلُهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥]، مَثَلُهم كمثل الحمار يحمل الكتب على ظهره ولا ينتفع بها.

- وأما الطريق المظلمة الأخرى التي يسلم منها المُنعَم عليهم: فهي طريق العمل بلا علم، فسالك هذا الطريق يخبط خبطًا، ويبتدع البدع، ويظنّ أنه يرضي الله وهو يقع فيما يسخط الله ﷻ، هذا طريق الضالّين، ورأس الضالّين هم النصارى.

وأما أهل الصراط المستقيم: فإنهم يجمعون بين العلم النافع والعمل الصالح، فيعملون بهدى ونور من الكتاب والسنة، فهم أهل سنة واستقامة، وليسوا أهل بدع وإحداث.

صراط الله المستقيم -يا عباد الله- هو الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، الذين تعلّموا الصراط المستقيم من رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ هو معلّمهم وهو مربّيهم، تعلّموا صراط الله من رسول الله ﷺ، ومَن بعدهم من الأمة إنما يوزن بهم، فمن وافقهم في عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم فهو على صراط الله المستقيم، ومن خالف منهجهم فهو سائر في السبل المُفَرِّقة المُبْعِدة عن صراط الله المستقيم، فإن ربنا ﷻ يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

من يشاقق الرسول يا عباد الله -أي يخالف الرسول ﷺ، فيصبح كأنه في شقّ، وكأن الرسول ﷺ في شقّ آخر- ويتّبع غير سبيل المؤمنين، فإنه يكون من الضالّين المتردّين في أودية الضلال، وإن ذلك يكون سببًا في دخوله النار، والعياذ بالله، فربّنا ﷻ جعل اتّباع غير سبيل المؤمنين كمشاققة الرسول ﷺ.

ولا شك -يا عباد الله- أن المؤمنين عند نزول الآية إنما هم صحابة رسول الله ﷺ، فهم يدخلون في الآية دخولاً أوّليًّا قطعيًّا، فالواجب على المؤمنين أن يتّبعوا سبيل صحابة رسول الله ﷺ وأن يسلكوا طريقهم إن أرادوا الهداية والسلامة والنجاة من عذاب الله ﷻ.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥]، فأوجب الله علينا أن نتّبع سبيل من أناب إليه، ولا شك -يا عباد الله- أن صحابة رسول الله ﷺ هم خير من أناب إلى الله بعد رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فواجب علينا -يا عباد الله- أن نتّبع سبيل صحابة رسول الله ﷺ، فهو صراط الله المستقيم.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠]، فالسابقون الأولون من صحابة رسول الله ﷺ ومن اتّبعهم بإحسان من أمة محمد ﷺ موعودون بأن يرضى الله ﷻ عنهم، وأن يُدخِلهم الجنة، وذلك الفوز العظيم، فمن أراد رضا الله ﷻ عنه وأراد أن يكون من أهل الجنة فليكن ممن اتّبع صحابة رسول الله ﷺ بإحسان.

ويقول نبينا ﷺ: «فإنّ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ»، فأخبرنا النبي ﷺ أن الاختلاف سيقع في الأمة، وأن الفُرقة ستقع في الأمة، وبيّن لنا المنهج الواضح، والطريق الواضح، وما ينبغي أن نسلكه بوضوح وأمان، ألا وهو أن نتمسك بسنته ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

والخلفاء الراشدون المهديون هم رأس صحابة رسول الله ﷺ، ورأس سلف الأمة، فمن أراد الهداية والنجاة عند الاختلاف فعليه أن يلتمس سنة رسول الله ﷺ بفهم صحابة رسول الله ﷺ.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب عباده، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في القلوب بعد قلب محمد ﷺ، فوجد خير قلوب عباده قلوب صحابة رسول الله ﷺ، فاختارهم وزراء لنبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيّئًا فهو عند الله سيّء.

والمراد بالمسلمين هنا -يا عباد الله- هم صحابة رسول الله ﷺ، لأنهم المتحدَّث عنهم المُطَهّرة قلوبهم، الذين رضي الله ﷻ عنهم، فما رآه الصحابة حسنًا فهو عند الله حسن، هو صراط الله المستقيم، وما رأوه سيّئًا فهو عند الله سيّء، هو انحراف عن صراط الله المستقيم.

فالواجب علينا -يا عباد الله- أن نعبد الله على بصيرة، وأن نلزم صراط الله المستقيم، متعلّمين عاملين، وأن نسير على منهج صحابة رسول الله ﷺ إن أردنا الأمن والهداية لأنفسنا ولأمّتنا ولسائر عباد الله.

فالله الله عباد الله! الزموا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على فهم صحابة رسول الله ﷺ لعلّكم تتقون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا عباد الله، يا معاشر المؤمنين:

إن الله ﷻ جعل لكم صراطًا مستقيمًا، وجعل الداعي إليه محمدًا ﷺ، وجعل له حُرّاسًا يَحرُسونه ويبلّغونه إلى الناس، هم صحابة رسول الله ﷺ ومن اتّبعهم بإحسان من علماء الأمة.

وشاء الله ﷻ بحكمته أن يجعل على جَنَبات هذا الصراط سبلاً وطرقًا، وعلى رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقد بيّن لكم نبيّكم ﷺ ذلكم غاية البيان، فقد جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: خطّ رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وخطوطًا عن شماله، ثم قال: «هذه السبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم تلا قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣] إلى آخر الآية.

فبيّن لنا النبي ﷺ أنّ على جَنَبات صراط الله المستقيم سبلاً مُفَرِّقة مُبعِدة عن صراط الله المستقيم، وأنه على كل صراط شيطان يزخرفه ويزيّنه للناس ويدعو الناس إليه.

فالموفّق -يا عباد الله- من لزم صراط الله المستقيم الذي دعا إليه رسول الله ﷺ، والمخذول -عياذًا بالله من الخذلان- من اتبع الطرق والسبل التي تدعو إليها الشياطين، وهي السبل المُبعِدة المُفَرِّقة عن الخير يا عباد الله.

فمن أراد الخير لنفسه وأراد الخير لأمته فعليه أن يتمسّك بصراط الله المستقيم الذي دعا إليه رسول الله ﷺ، يتمسك بذلك في عقيدته، وفي عبادته، وفي معاملاته للناس، وفي أخلاقه.

واعلموا -عباد الله- أن هذه الأمة لن يكون لها عزّ ولن تكون لها قوّة ولن يُرفع الهوان الذي نزل بها إلا باجتماعها، ولن تجتمع هذه الأمة إلا بتمسكها بصراط الله المستقيم، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فمن أراد العزة للأمة والقوة للأمة فليجتهد -يا عباد الله- أن يتمسك بصراط الله المستقيم الذي وصفناه في نفسه، وأن يدعو إليه بحسب استطاعته، من أراد العزة والقوة للأمة ورفع الهوان عنها

فليكن داعية إلى ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، ومن رام اجتماع الأمة بغير هذا الطريق فكأنما يتّبع سرابًا، ولن يزيد الأمة إلا فُرقةً وهوانًا وبُعدًا عن الخير.

فالله الله عباد الله! امتثلوا صراط الله المسقتيم، تعلّموه، واعملوا به، وادعوا إليه بحسب استطاعتكم، وكونوا من أهله، لعلكم تفلحون.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ أكرمنا بلزوم صراطك المستقيم، اللهمّ أكرمنا بلزوم صراطك المستقيم، اللهمّ أكرمنا بلزوم صراطك المستقيم، اللهمّ وثبّتنا عليه إلى أن نلقاك يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، اللهمّ يا ربنا، أقرّ أعيننا بعودة أمة محمد ﷺ إلى كتابك وسنة نبيك ﷺ.

اللهمّ اهدنا صراط المستقيم، اللهمّ اهدنا صراطك المستقيم، اللهمّ اهدنا صراطك المستقيم.

اللهمّ من ضلّ اللهمّ فاهده يا رب العالمين، اللهمّ من كان على الهدى فثبّته، ومن ضلّ فاهده يا رب العالمين.

إلهنا، إلهنا، إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا ووالدينا وأهلنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا ووالدينا وأهلنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا ووالدينا وأهلنا أجمعين، اللهمّ ونَجِّنا من النار أجمعين، اللهمّ ونَجِّنا من النار

أجمعين، اللهمّ اجعلنا من أهل الجنة أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منا أحدًا يا رب العالمين.

إلهنا، إلهنا، يا حي يا قيوم، يا الله، إن إخوانًا لنا في بقاع مختلفة من الأرض يعانون الأمرَّين، اللهمّ ففرّج عنهم يا رب العالمين، اللهمّ ففرّج عنهم يا رب العالمين، اللهمّ ففرّج عنهم يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، ارفع الظلم عن المظلومين، اللهمّ ارفع الظلم عن المظلومين، اللهمّ ارفع الظلم عن المظلومين.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعلنا وسائر المسلمين من المتمسكين بكتابك المتّبعين لرسولك ﷺ.

نسألك يا ربنا كما جمعتنا في هذا المقام أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا في الفردوس الأعلى أجمعين.

اللهمّ أنزل علينا الرحمة والبركة والسكينة، اللهمّ أنزل علينا الرحمة والبركة والسكينة، اللهمّ أنزل علينا الرحمة والبركة والسكينة.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].